الباب الثانى

العلاقة السياسية

قد تكلمت فى الباب السابق على ضوء الوثائق التاريخية عن اتصال العرب بالصين من عهد قديم إلى زمن النبى صلى الله عليه وسلم . وكان ظهوره قد قلب ورقا جديدا فى تاريخ العالم . فالتغيرات التى ظهرت على أثر مناداته بالنبوة فى الشرق والغرب ، وخصوصا فى محيط البحر الأبيض ظاهرة بالغة يشعر بها كل صغير وكبير من جميع الأجناس والألوان . فهى غير محتاجة إلى شرح فى هذا المقام . وأما الصين فلا شك فى أنها كانت بعيدة عن مهبط الوحى ومهد الاسلام ، غير أن بعدها لم يعز عنها شيئا. فوقعت أيضا تحت تأثير هذا الانقلاب المدنى والدينى ، الذى ظهر أولا فى جزيرة العرب فى أوائل القرن السابع للميلاد ، ثم أخذ يفيض على البلاد المجاورة حتى عم أكثر ربوع العالم .

أن الاسلام الذى كلف الله محمدا (ص) نشره فى الأمة العربية أولا ثم فى الأمم الأخرى فى أقطار العالم هداية ورحمة ، انتشر سريعا ، بعد استحكام نفوذه فى الجزيرة ، إلى بلاد الشام ومصر والعراق والفرس . وكانت واقعة القادسية (٦٣٦م) تهدد حياة الامبراطورية الساسانية التى كانت فى حالة الاحتضار ، وانتصار العرب فى نهاوند (٦٤٢ م) قوض دولة كسرى إلى الأبد . ففر يزدجرد ، آخر الملوك من الساسانيين من أرض أجداده ، وكان فراره إلى الصين نذيرا للامبرطور (تانغ تائى جونغ) بتقدم القوة الجديدة الناهضة من بلاد العرب نحو

الشرق الأقصى . ولا شك فى أن (تانغ تائى جونغ) كان يعطف على آخر الورثة لعرش الأكاسرة فوعده بأن يمده باعانات عسكرية ولوازم حربية من ممتلكاته المجاورة لبلاد الفرس ، وكان لهذا الوعد أثر بالغ فى نفس يزدجرد حتى جدد أمنيته وعادت الحرارة المجوسية إلى عروقه . فرجع مع جماعة من عساكر التتار الذين كانوا يعترفون بسلطة (تانغ تائى جونغ) عليهم آملا بذلك فى استرداد تركة أجداده إلى وارثهم الأصيل . غير أن نجوم العرب الذين سيطروا على الامبراطورية الساسانية الآن ، فى مطلع الارتقاء ورأوا هلاك يزدجرد وآخر أيامه بدون اشتباك مع العساكر الذين جاؤا معه بحكم أمبراطور الصين. وكان ذلك أن حفيد خسرو برويز، قد خانه خادمه بالمرو فتمرد أهلها عليه واعتدوا عليه فتعقبوه إذ كان هاربا منهم . فوصل فارا بحياته إلى شاطىء نهر حيث أراد العبور على عجل فلم يجد الا مركبا لمطحن . وكان يزدجرد كما هو حال كل رجل فى وقت المصائب لم يجد فى جيبه شيئا من النقود . فعرض على صاحب المركب خاتما وسوارا لعبور عاجل . فأجاب ذلك القروى وكان جاهلا شخصية يزدجرد الخطر الذى كان فيه أنه يحصل من مطحنه يوميا على أربعة دراهم . وأنه لا يستطيع أن يعطل المطحن عن العمل إلا إذا عوض عن خسارته . فى هذه الساعة من التردد والتأجيل ، وصل المتعقبون فقبضوا عليه وانتزعوا روحه من جسده، فانتهت حياة آخر ملوك الساسانيين فى السنة التاسعة من حكمه

وأما ابنه فيروز وكان تابعا لأمبراطور الصين وخاضعا لحكمه فقد رضى بمركزه فى قصر (سيآن) حيث كان رئيسا لفرقة حراسه . وكانت الديانة المجوسية قد تسربت إلى بخارى مع جماعة من المنفيين ومنهم ابن فيروز الذى كان يحمل اسم جده . فعاد إلى الصين بعد ثورة فاشلة . فقضى نحبه فى قصر (سيآن) بين الحزن واليأس .

فابتدأت العلاقة السياسية مباشرة عند ما كان الأمراء الساسانيون يلتجئون إلى عاصمة الصين [1] .

---

(1) Huarts: Ancient Persian and Iranian Civilization P. 137.

وأما الحلقة الثانية من العلاقة السياسية فهى زحف قتيبة بن مسلم الباهلى إلى آسيا الوسطى، كان قتيبة مطيعا لأوامر الحجاج بن يوسف والى العراق. فقاد قوة جديدة من العرب إلى خراسان، ثم إلى ماوراء النهر ضد الاتراك الذين لم يخضعوا لحكم العرب حتى الآن، مع أنهم قد انهزموا مرارا أمام قواد العرب الآخرين من قبل. فأعد عساكره بالمرو، وشجعهم بالأناشيد العسكرية والخطب الحماسية. فزحف بهم أولا إلى بيكند (Beikend) وقد فتح فى طريقه إلى كاشغر، أدنى مدن الصين، مدينة الصغد ورامتين وبخارى وواردن وكش وسمرقند. لقد اشتبك بقوة تركية تحت قيادة رئيس معروف باسم (غوزك)، ويقول البلاذرى أن قتيبة بعد الانتصار عليه، فرض عليه جزية سنوية مقدارها ٢٠٠٠٠٠ درهم. وكان أول عمله، بعد دخول سمرقند بعساكره، أن صلى ركعتين شاكرا للقادر المطلق الذى قد أعزه بفتح مبين على أعدائه المشركين ثم أصدر أمرا بانشاء أول بيت لله فى هذه المدينة الوثنية. فتقدم بغزواته إلى الشرق الأقصى، تاركا وراءه فى سمرقند جماعة من الموحدين لنشر رسالة محمد رسول الله (ص) وإعلاء كلمة الله بين أهلها.

ووجد فى سمرقند عدداً كبيرا من المعابد الوثنية التى فيها أصنام وأوثان وكان الناس فى تلك المدينة يعبدونها ويعظمونها. وكان طبيعيا لا يسمح قتيبة بعبادة تلك الأصنام أو التقرب اليها، بعد أن فتح تلك المدينة وشيد جامعا فيها. لأنها آلهة لا تضر ولا تنفع، إذ أنها مصنوعة من صخور أو أحجار أو أخشاب أو أشجار. فعزم على تحطيم هذه الأصنام، فضج المجوسيون غضباً لأنهم كانوا يدينون بتقديس هذه الأصنام وبمعجزاتها. فأقبل كبراؤهم ينذرون المحطمين قائلين — كل من يرفع يده معاديا هذه التماثيل المقدسة، يهلك فى وقته ولا مفر له من ذلك لكن قتيبة بن مسلم الذى كان قلبه يفيض بنور الإيمان، وكان جبينه متلألئا من فخر الغزو والانتصار، لم يخش تهديدهم. فأنزل الأصنام واحداً بعد الآخر، وألقاها فى النار. وكان الناس على ذلك شاهدين، فلم يروا إلا لهيبا فى لهيب، ثم رمادا بين رماد تزروه الرياح. وأما المعجزة، وأما هلاك المحطم فى وقته، وأما غير ذلك من

قداسة الأصنام وفعلها فى الأحياء فلم يظهر لها أثر أبدا . وأما الجماهير الذين قد عاشوا فى الجهل فانتبهوا فى الحال فقاموا وثاروا على الرهبان وكذبوا أقوالهم ثم تولوا عن عبادة الأصنام ودخلوا فى دين الاسلام .

صرف قتيبة بن مسلم مدة من الزمن ومقداراً بالغا من التفكير فى إخضاع سكان بخارى الذين كانوا يخضعون لحكم العرب حينا ويتمردون عليهم حينا آخر . وكانت الصعوبة ليست فى فتح مدينة بخارى بالقوة العسكرية ، بل فى فتح قلوب السكان التى قد تجمدت فى الوثنية والأوهام غير شاعرة بالهزات التى أحدثها الاسلام فى المعتقدات الآن . نعم ، أنهم قد سلموا أنفسهم إلى سلطة العرب مراراً ، غير أنهم عند ما رأوا أن الفرقة الرئيسية من قوات العرب قد ارتحلت الى جهة أخرى ، خرجوا من بيوتهم . فأخذوا أسلحتهم للمرة الثانية ورفعوا لواء العصيان ضد حكام البلد . ولقد وقع مثل هذا ثلاث مرات . فكان السبب الأصلى لهذه الثورات يرجع إلى أن أكثر السكان قد لبسوا ثياب الاسلام فى الظاهر . لكنهم فى الباطن قد بقوا فى الوثنية كما كانوا فى حالتهم الأولى . فلما فتح قتيبة بلاد بخارى للمرة الثالثة ، مكث يفكر فى وسيلة يستعين بها على إسلام أهلها وتبديل معتقداتهم من أصلها . فأسس فى مدينة بخارى جامعا معروفا باسم (جامع قتيبة) فى سنة ٧١٤ م ، ولا يزال باقيا الى يومنا هذا . وكان يمنح عطاء قدره درهمان لكل مصل جديد فى هذا الجامع يوم الجمعة . زد على هذا أنه قد بعث المعلمين والواعظين إلى أسر قد دخل أهلها فى الاسلام حديثا ليعلموهم الدين ، ويزيلوا الشكوك من قلوبهم . فبينوا لهم تلك الأحكام الضرورية التى يحتاجون اليها فى إقامة الصلاة وشعائر الدين . ولرفع الصعوبة فى فهم معانى القرآن بلغته الأصلية ، أجاز ترجمته إلى اللغة الفارسية [1] التى كانت وسيلة التفاهم فى الآراء ، وآلة التبادل للأفكار فى الأمبراطورية الساسانية فى ذلك الزمن . فجعلوا سكان بخارى يفهمون معانى القرآن باللغة المترجمة اليها فهما تاما . ولقد أفادت هذه الطريقة التى تعتبر من أحدث

(1) Vambury: History of Bukhara. P. 30

أساليب التبليغ إفادة عظيمة فى نشر الاسلام ، وتقوية هـذا الدين الحنيف فى بلاد التتار العليا التى انتشر منها فى الأيام اللاحقة إلى تركستان الصينية ، ومن ثم دخل شمال الصين الغربى .

فلما فرغ قتيبة بن مسلم من تنظيم سمرقند وبخارى ، واطمأن على النظام الذى وضعه لحل الأمور وعقدها فى تلك الولايات النائية عن مركز الخلافة ، زحف بجيوشه نحو خوقند . ففتحها بلا مقاومة تذكر فى سنة ٩٥ هـ ثم توجه إلى شطر الشرق عن مضيق (تيرك) حتى دخـــل كاشغر فاتحا فى السنة نفسها . وكانت له محاربات خطيرة مع رؤساء الترك . ومن حسن حظه ، أن وجدهم مشغولين بالنزاع الداخلى غير متفقين على أمر الدفاع العام المشترك ، فأصبح اخضاعهم ، واحدا واحدا من السهولة بمكان على قتيبة وفى هذه الفترة كان بعض قواد التتار قد استغاثوا بأمراء الفلموك بشمال تركستان الصينية ، لـكن اغاثتهم لم تنفعهم شيئا ، لأن كاشغر ويارقند وختن — وكانت فيها حصونهم المنيعة — قد سقطت واحدة بعد أخرى فى ايدى العرب فتقدموا حاملين لواء النصر حتى وصلو الى مدينة طرفان .

كان من عادات العرب فى الغزوات ، أن يعرضوا دين الاسلام ، أو الجزية ، على أهل البلاد التى يغزونها ، ولقد فعل قتيبة بن مسلم ذلك مع أمبراطور الصين أيضا . فبعث وفدا مع رسالة منه ، الى الأمبراطور (يوانغ جونغ Yuang Chung) (٧١٣ - ٧٥٥ م) ، يطلب منه الطاعة والجزية . ولابن الأثير فى هذا الأمر أقوال طريفة — طريفة جدا حتى لا نستطيع أن نميز حقيقة الواقعة من زخرف البيان . وأياما كان فلا أريد أن أدخل هنا فى نقد ابن الأثير ، لأن المتخصصين فى التاريخ يعرفون كيف يقولون كلمتهم الفاصلة ، ويبدون آراءهم السديدة فى النقط التاريخية الدقيقة . غير أننى أعتقد أن لأقواله قيمة عظيمة فى تمثيل آراء المؤرخين العرب فى هذا الواقع التاريخى . فلذا أرانى بحاجة الى تلخيصها هنا .

قال ابن الأثير « . . . فى سنة ٩٦ هـ (٧١٥ م) غزا قتيبة بن مسلم كاشغر وحمل مع الناس عيالهم ليضعهم بسمرقند . فلما عبر النهر ، استعمل رجلا على المعبر

ليمنع من يرجع إلا بجواز منه. ومضى إلى فرغانة وأرسل إلى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهى أدنى مدن الصين . وبعث جيشا تحت قائد كبير الى كاشغر وختم أعناق أهلها وأوغل حتى بلغ قرب الصين فكتب اليه ملك الصين ،

« ابعث الى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم » .

فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح . فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشى وغير ذلك من الخيول وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابى . فقال لهم « اذا دخلتم عليه ، فاعلموه أنى قد حلفت لا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، واجبى خراجهم . فساروا وعليهم هبيرة بن مشمرج وحضروا عند امبراطور الصين ثلاث مرات ولبسوا ملابس تختلف كل مرة عن الأخرى . فلقد لبسوا فى المرة الأولى ثيابا بيضا تحتها الغلائل وتطيبوا ولبسوا النعال والأردية، وفى المرة الثانية لبسوا الوشى والعمائم الخز والمطارف ، وفى المرة الثالثة شدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر وأخذوا السيوف والرماح والقسى وركبوا . فتعجب امبراطور الصين من مظاهرهم وسأل هبيرة عن حقيقة التنوع فى اللباس، قال :- زينا اليوم الأول لباسنا فى أهلنا وفى اليوم الثانى لباسنا أمام أمرائنا ، وفى اليوم الثالث زينا أمام عدونا . قال ما أحسن ما دبرتم دهركم. فقولوا لقائدكم ، ينصرف . فانى قد عرفت قلة أصحابه وإلا بعثت اليكم من يهلككم . قالوا كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون . وأما تخويفك إيانا بالقتل ، فان لنا آجالا ، إذا حضرت فأكرمها القتل ، ولسنا نكرهه ولا نخافه ، وقد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية .

قال الأمبراطور فانا نخرجه من يمينه ونبعث اليه تراب أرضنا فيطؤه وبعض أبنائنا فيختمهم وجزية يرضاها . فبعث اليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن .

قد ذكر هذ الواقع سوادة بن عبد الملك السلولى فى ثلاثة أبيات وهى جزء من بيان ابن الأثير عن علاقة العرب السياسية بالصين مباشرة . وها هى ذى :

لا عيب فى الوفد الذين بعثتهم ... للصين أن سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الردى ... حاشى الكريم هبيرة بن مشمرج
أدى رسالتك التى استدعيته ... فأتاك من حنث اليمين بمخرج

وأما قتيبة فرضى بما أهداه به أمبراطور الصين لأن الخبر قد وصل اليه فى هذا الوقت عن وفاة الوليد بن عبد الملك وبيعة أمراء دمشق لسليمان الذى تولى الخلافة الأموية مدة وجيزة . وهو الذى أهلك كثيرا من أبطال الاسلام الذين كانوا أعمدة القوة وأركان الدولة ، بسبب الحقد الشخصى الكامن فى ذاته نحو هؤلاء الابطال وكان قتيبة من الهالكين أيضا . والسبب فى ذلك أن الخليفة الوليد بن عبد الملك ، قد استشار الحجاج وقتيبة فى عزل سليمان من ولاية العهد وجعل ابنه عبد العزيز مكانه . فأجاباه الى ذلك . فلما مات الوليد وتقلد سليمان مقاليد الخلافة ، عزله عن الولاية فى خراسان وولى وكيعا عليها بدلا من قتيبه . فأحدث قتالا هائلا بين الجماعتين حتى جرح قتيبة فى المعركة وقتل فيها . وقتل معه أحد عشر ذكرا من أهل بيته .

وكان قتل قتيبة إيذانا باضعاف الاسلام فيما وراء النهر وإثارة الخلاف والشقاق بين صفوف العرب والمسلمين، وأما هبيرة بن مشمرج الذى كان يرأس الوفد العربى الى أمبراطور الصين بعد عودته الى ما وراء النهر ، فأوفده قتيبة الى الوليد . لكنه لقى حتفه فى طريقه الى دمشق ، فى قرية بفارس . فرثاه سوادة بهذه الأبيات

لله در هبيرة بن مشمرج ... ماذا تضمن من ندى وجمال
وبديهة تزهى بها أبناؤها ... عند احتفال مشاهد الأقوال
فسقى بقرية حيث أمسى قبره ... غر يرجن بمسيل هطال
كان الربيع إذا السنون تتابعت ... والليث عند تكعكع الأبطال
بكت الجياد الصافنات لفقده ... وبكاه كل مثقف عسال
وبكته شعث لم يجدن مواسياً ... فى العام ذى السنوات والأحمال

وقفت فتوحات العرب الى الشرق الأقصى بسبب قتل قتيبة بن مسلم الباهلى ، الذي قد شاركه فى تناول كأس الموت ، كثير من أبطال الاسلام. فتخلصت الصين

من حملة العرب عسكريا لكنها لم تستطع مقاومة نفوذ الدين الاسلامى الذى كان ينتشر بسرعة الى أواسط آسيا ، مع التقدم العسكرى ، فدخل الصين بعد أيام قلائل ورسا فى غربها وشمالها .

لاشك أن لقتيبة بن مسلم يداً طولى فى نشر الاسلام فى آسيا الوسطى ، إذ كان واليا عليها . أما نصيبه فى نشر الاسلام فى ولايات الصين القاصية التى تقع بين سور الصين وسقف العالم فذلك مالم يرو لنا التاريخ عنه شيئا . فلذا لانستطيع أن نتكلم عنه هنا . غير أننا نرجح أن بعض الناس من أهالى تركستان الصينية قد تقبلوا الاسلام دينا فى زمنه ، وخضعوا بعد وفاته لفواد العرب الذين كانوا يطلبون المجد الشخصى لأنفسهم فى ولايات بخارى وسمرقند والصغد . وكان من الذين أسلموا من أهالى آسيا الوسطى فى أواخر القرن الأول الهجرى ، فى أغلب الظن ، قوم أو يوغرى آباء المسلمين الصينيين الذين نشأت بينهم وبين الصين علاقة سياسية بعد توقف الفتح العربى فى الشرق .

ويشهد تاريخ الصين بأن الأيغرة شعب جديد تفرع عن التتار فى أوائل القرن الثامن من الميلاد ، لأننا لا نجد ذكرا عنهم قبل هذا الزمن ، مع أن تاريخ الصين ملىء بالحوادث التى وقعت على حدودها من غارات التتار وهزائمهم ، أو خضوع رؤساء الترك لسلطة أمبراطور الصين و تقربهم اليه بتقديم الهدايا أو الخراج . من هذه الحوادث خروج سابلو خان على الامبراطور (صوى وين تى Sui Wenti) الذى كان يتربع على عرش الصين فى سنة ٥٨٩ إلى ٦٠٥ م ، إذ كان محمد رسول الله (ص) ، لم يكلف بأعباء النبوة وتبعة الرسالة إلا بعد سنوات أخرى . وكان طبعيا أن انهزم سابلوخان أمام القوات الصينية فالتمس الصلح من الأمبراطور (صوى وين تى) فقبل التماسه فصالحه . ثم نتجت عن هذا الصلح رابطة عائلية بزواج أميرة من أسرة (صوى) بـ (كيمن خان) ، رئيس من رؤساء التتار .

ولقد انقرضت أسرة (صوى) فى سنة ٦١٧ م ، أى بعد النبوة بست سنوات وانتقل حكم البلاد إلى أسرة (تانغ = Tang) ، وكان أول عاهل من هذه

الأسرة العظيمة هو (تانغ كاوجو Tang Kao—Tzu) وكان رجلا عسكريا شجاعا فى الحرب مدبرا عظيما فى تنظيم الجيش وإدارة الأمور ، محبا للعلوم والفنون محترما لرجال الأخلاق والعدل مقربا لهم .

كانت علاقته بقبائل التتار على أساس المودة والصداقة . فانعم فى سنة ارتقائه العرش بلقب « أمير الوفاء » على خسر وخاع ، وهـــو رئيس من رؤساء التتار الغربيين . فرفع خسروخان شكره الخالص إلى الأمبراطور (تانغ كاوجو) على هذا الانعام الممتاز وقدم له هدايا نفيسة منها درة يتيمة .

ولقد ذكر تاريخ الصين كثيرا من أمارات آسيا الوسطى ، اللاتى كن خاضعات لحكم الصين فى ذلك الوقت . منها أمارة (ووسين = Wu - Sen) وهى بلاد خوجة الحاضرة . قد أرسلت هذه الأمارة خراجها إلى أمبراطور الصين فى سنة ٦١١ م تقربا وتطوعا . وكان السبب فى ذلك أن خسروخان قد زار الصين فى عهد (صوى) فثار الأمراء فى عاصمته أيام غيابه عنها ونصبوا عمه ملكا عليهم . فعاد خسروخان بنجدة من الجيوش الصينية ويمكن من القبض على ناصية الأمارة للمرة الثانية . فاستقر فيها وقوى حتى استطاع فى أيام متأخرة ، إخضاع بعض الأمارات الصغيرة لحكمه . وحصل منهم الضرائب وأرسل قسما منها إلى الأمبراطور (تانغ كاوجو) ، شاكرا له إعانته له أيام الثورة السابقة [1] .

من رأى الاستاذ كاركورن (Corcorn) مؤلف « تاريخ ممالك جـــين » وهـو أحسن كتاب قرأته فى هـــذا الموضوع بلسان الأردو ، وطبع فى كلكته (الهند) أن نفوذ (تانغ كاوجو) من الناحية السياسية ، قد اتسع إلى سمرقنـــد وبخارى وبلاد قفجاق . وكان يأخذ الخراج من ملوكها لأنهم كلهم قد رضوا بحكمه وسيادته عليهم .

---

(1) -Thong Chiang: Vol. 49. P. 10.

وظهرت أيام حياة هذا العامل العظيم ، حوادث خطيرة فى بلاد العرب ، ذات أثر بعيد فى سياسة العالم ومدنياتها ، كخلافة أبى بكر رضى الله عنه، بعد وفاة رسول الله (ص) ، وفتوحات عمر رضى الله عنه ، وسقوط دولة كسرى وغيرها من الوقائع الشهيرة فى تاريخ الاسلام والعالم .

فلما قطع الأجل حبل حياته فى سنة ٦٢٦ م ، تولى ابنه (تانغ تائى جونغ Taug Tai Tsung) زمام الحكم فتربع على عرش الصين آمرا ناهيا . وكان من أولى العزم والحلم ، وكان شجاعا مثل أبيه وذا رأى سديد فى الأمور السياسية وهمة عالية فى إدارة البلاد . وقد احتفظ بتركة أبيه من الممتلكات بآسيا الوسطى لا ، بل وسع سيادته إلى بلاد التبت وكشمير ونيبال . وهو الذى قد استغاث منه يزدجرد آخر ملوك الساسانيين عند ما كان العرب يغزون بلاده فسقطت فى أيديهم فى سنة ٦٤٢ م ، سقوطا لا عودة لها إلى القوة من بعده أبدا . ولقد روى مؤلف « تاريخ ممالك جين » أن ملك جيبور من ملوك الهند قد بعث سفيرا إلى الامبراطور (تانغ تائى جونغ) فى سنة ٦٤١ م لا يجاد علاقة ودية بينهما . فأرسل وفدا من عنده إلى الهند ردا لزيارة سفير ملك جيبور له . مع هدايا ثمينة إلى ملكها . فاقتفى بعد ذلك ، كثير من راجوات الهند أثر جيبور . فجاء السفراء من إمارات كشمير وأوجين ونيبال إلى عاصمة الصين للاغراض ذاتها [1] .

بعد وفاه تانغ تائى جونغ ، ارتقى ابنه (تانغ كاوجونغ كاوجونغ Tang Kao Tsung) عرش الصين . وهو الذى قد رحب بفيروز بن يزدجرد واسكنه فى عاصمته . وكان لفيروز ابن باسم جده أى يزدجرد . وكان فى نية تانغ كاوجونغ ، أن ينصبه ملكا على إيران بعد وفاة فيروز . لكنه فشل فى محاولته . أولا لأن العرب قد تقدموا إلى آسيا الوسطى واستحكم حكمهم فيها ، وثانيا لأن المسافة بعيدة والمواصلات غير منظمة كما ينبغى فاقتنع بالانعام عليه بلقب ملك إيران عليه، بدلا من

---

(١) كاركور . ج ٢ - ١٧٠

نصبه ملكا عليهـــا . فولاه ولاية من ولايات تركستان وكانت جزءا من مملكة جده .

ويظهر من تاريخ الصين أن العلاقة بين (تانغ كاوجونغ) ورؤساء التتار فى هذا الوقت قد تغيرت من الود إلى النفار ومن الصداقة إلى العدوان . حتى نرى رئيسا من رؤسائهم ، معروفا باسم قطلو قد حمل على مدينة (بنشو Pin-Chow) فى سنة ٦٨٢ م فانهزم . فعاود الكرة مرة أخرى بعد سنتين على مدينة (سوشو Cu Show) ففتحها ثم توغل الى داخـــل الصين عـــلى رأس ٢٠٠٠ مقاتل [1] ومرة ثالثة فى سنة ٦٩٢ م على ليانج شو (Liang Chow) بقانصو . لكن الصين لم تكن ضعيفة فى قمع هذه الحملات وتفريقها . فدافعت عن حدودهـا بتدابير وقوات معـا . وطردت المغيرين إلى ماوراء الحدود بالقوة العسكرية حتى خضعت لسيادتها ثماني أمارات أخرى بتركستان ، فى السنة الثالثة من حكم الامبراطور (يونغ جونغ Yung-Tsuug) وكان السبب فى ذلك أن صاحب طرفان قد زحف على إمارة أيلى . ففر ملكها إلى آنسى (An—Si) مستغيثا من حاكمها. فأعانه بعشرة آلاف جندى ، وزحف بهم الى بلاد التتار وفتحوا كثيرا من المدن. فمن الامارات التى كانت قد خضعت لسيادة الصين ، إمارة (ناشى) ولعلها تاشقند الحاضرة .

ومن المعلوم أن العرب الذين فتحوا أواسط آسيا بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلى لم يستطيعوا المحافظة على النظام فيها بعد أن قتل قائدهم ، بسبب الاختلاف الذى ظهر بين رؤساء العرب . فاشتد هذا الاختلاف فى آخر عهد بنى أمية . فالصينيون وهم أقرب الى ما وراء النهر من الناحية الجغرافية ، قد سعوا إلى تقوية سيادتهم فى بعض مدنها ، باغتنام حالة الضعف في الاتراك والخلاف الداخلى بين قواد العرب وقد قيل أن رؤساء الأتراك الذين خضعوا لقوة العرب فى وقت قتيبة ، قد بعثوا

---

(1) Thong Chiang: Vol 53. P. 7.

(٢)

رجالهم إلى الصين أنجاد الامبراطورها فى رد سلطتهم المفقودة اليهم راضين بحمايتها عليهم . فالذين قد تعهدوا مع أمبراطور الصين فى هذه المسألة السياسية ، تلقوا من قبله ، ألقاب الشرف . وكانوا يلاقون حتفهم منه فى بعض الأحيان أن خرجوا أو هموا بالخروج عن طاعته . ولقد روى الأستاذ برتولد الرومى فى كتابه « تركستان الى غزو المغول » أن الصينيين قد سيطروا على مدينة سوياب وكان ذلك بسبب الاختلاف الداخلى بين العرب أنفسهم من ناحية ، ومن ناحية أخرى بسبب عدم كفاية الاتراك فى تكوين قوة جديدة بعد خضوعهم الى حكم العرب . فقتلوا حاكم شاش فى سنة ٧٤٩ م ، لأنه لم يوف عهده بكونه تابعا للصين ونقل عن ابن الأثير قائلا : أن آل أخشيد بفرغانة ، استنجدوا بالصينيين على حاكم شاش [1] ، عندما ظهر الخلاف بين المدينتين . وكان طمع الصينيين فى وضع يدهم على شاش ، هو الذى دفعهم الى الاصطدام مع قوات العرب فعادوا بخسارة فادحة وذلك لأن ابن حاكم شاش القتيل ، التجأ الى أخذ المساعدة من العرب ، بدلا من الخضوع لحكم الصين . فأجابه زياد بن صالح الذى بعثه أبو مسلم الخراسانى الى ماوراء النهر لاطفاء نار الثورة التى قد أوقدها شريك بن المهدى من أيام قريبة فجاء بجيش جرار فاصطدم بقوات الصين بموضع (تالاس) فاذن كانت معركة فاصلة للعرب على الصينيين فى سنة ٧٥١ م وكان قائد القوات الصينية (كاوشيان كى Kao Shian-Chi)

وبناء على رواية الاستاذ برتولد ، أن العرب قد قتلوا فى هذه المعركة الفاصلة ، ٥٠٠٠ من جيش الصين ما عدا ما أسروه من عدد هائل ، قد بلغ ٢٠٠٠٠ رجلا

أعتقد أن هذا البيان لا يخلو من المبالغة لأن القوات الصينية التى كانت تحت قيادة كاوشيان كى ، كما ورد فى تاريخ الصين ، لم تتجاوز ٣٠٠٠٠ جندى . فليس من المعقول اذن أن يقع فى أيدى العرب ٢٠٠٠٠ أسير بعد قتل ٥٠٠٠ منهم . وأما القدماء من مؤرخى العرب الذين اشتغلوا بتدوين الوقائع الشهيرة ،

---

(١) ابن الأثير ج ٧ - ص ٢٤٤

فلم يذكروا هذه المعركة. لكن على كل حال نجد إشارة اليها فى لطائف المعارف للثعالبى ويظهر أنه أسند روايته الى كتاب المسالك والممالك للجوينى . ومن قول الثعالبى أن الصينيين الذين وقعوا أسارى فى أيدى العرب علموا أهل سمرقند صناعة الورق فانتشرت هذه الصناعة فى البلاد الاسلامية الأخرى من بعد. (١)

لاشك أن هذه الواقعة مهمة جدا بالنسبة الى الاتراك فى أواسط آسيا . لأنها عملية حربية فاصلة فى حل مسألة خطيرة وهى المدنية المستقبلة فى تركستان. كانت هناك مدنيتان تتنازعان السيطرة على آسيا الوسطى ، مدنية صينية ومدنية عربية . وكان انتصار العرب على الصينيين فى هذه المعركة التاريخية قد وضع حدا فاصلا لهذه المسألة . فظلت المدنية العربية مسيطرة منذ ذلك اليوم على تلك البقاع من أرض الله حتى الآن .

ويظهر من تاريخ الصين ، أن الصينيين قد ساعدوا الأمراء الآخرين من الترك فى نزاعهم مع العرب . لكنهم امتنعوا عن إعلان الحرب ضد العرب مباشرة ، بعد تجاربهم مع صالح بن زياد فى واقعة (تالاس) . فلقد ذكر فى بعض الكتب الصينية ، أن قوات الصين ، قد نالت انتصارات هامة ببعض الجهات النائية بما وراء النهر ، القريبة حدود الهند . لكن تاريخ العرب لم يصدق هذا القول فلا نعرف اذن مبلغ صحته ، بل على العكس نجد دليلا على خلاف ذلك فأن أبا داود الذى عينه أبو مسلم واليا على بلخ ، نال انتصارا باهرا فى حملته على خودال وكش ففر حاكم خودال الى الصين وقتل أمير كش فى المعركة تاركا أخاه فى الولاية (٢) ففى سنة ٧٥٢ م ، التمس أمير (أوشروسانة) من حكومة الصين ، أن تساعده على العرب . فأبت ، فان لها تجارب مع قوات العرب من قبل فترى من الخير أن تمتنع من إرسال المساعدة وعدم التدخل فى هذا النزاع القائم بين العرب وأمير تركى .

---

(1) Turkistan Down to the Mongol Invasion : P. 196.

(٢) الطبرى ج ٣ - ص ٧٩ — ٨٠

والحقيقة أن الصين فى هذه الأيام ، كانت تواجه ثورة هائلة فى داخل الامبراطورية . ظهرت هذه الثورة فى سنة ٧٥٤ م وكادت تسقط دولة (تانغ) من أساسها ، لولا مساعدة الأواغرة والمسلمين لها . ولعل هذا هو السبب الأصلى الذى كان يمنعها من التدخل فى الأمور السياسية بآسيا الوسطى ، لا ، ، بل اضطرها إلى الصلح مع العرب والترك الذين دخلوا فى حظيرة الإسلام فى آخر عهد بنى أمية وكان من هؤلاء ، الأواغرة .

أن الأواغرة قوم جدد تفرعوا عن التتار فى أوائل القرن الثامن من الميلاد كما أشرت إلى هذا من قبل واقد أسلم رئيسهم بعد قتيبة بزمن قليل ولاسلامه قصة عجيبة طويلة ذكرها آغا جان محمد خان فى كتابه « أو يماق مغول » باللغة الفارسية ونقلتها فى كتابى « الاسلام وتركستان الصينية » وخلاصة القصة « أن أو يغور بن قراخان » قد أسلم سرا مع أمه ، فلما علم ذلك أبوه غضب عليه ، فحشد جيشا عظيما لمقاتلته بعد الفشل فى المفاوضات فى رده إلى دين آبائه الأولين فكان لأويغور أنصار يدافعون عنه ويقاتلون له . فقاوموا قراخان وكان ملكا على «قراقرم» فهزموه وقتلوه . فاختاره ملكا عليهم . فاشتهر أنصاره باسم الأويغوريين من بعد . ومعنى كلمة « أو يغور » فى اللغة التركية، المعاهدة أو « المرابطة » ، ومن هنا نعرف أصل الشعب الأويغورى الشهير فى تاريخ آسيا الوسطى . وكانت لهم علاقة سياسية مع الصين بعد العرب الذين ذكرناهم آنفا . لأنهم قد كونوا شعبا قويا ، عند ما كثر الدعاة لبنى العباس فيما وراء النهر واتسع اختلافهم مع حماة بنى أمية فى النصف الأول من القرن الثامن من الميلاد ، حتى التجأ أمبراطور الصين وهو سوجونغ (Su - Tsung) إلى مساعدتهم فى قمع ثورة آنلوشان (An Lushan) الذى قد رفع لواء العصيان ضد الحكم القائم فى سنة ٧٥٤ م .

كان هذا الثائر حاكما على مدينة صغيرة يقال لها (يون تشو Yun Chow) فترقى الى منصب المحافظ بولاية (هاتونغ Ho-Tung) ، فى السنة التى انقرضت فيها الدولة الاموية وابتدأ حكم العباسيين فى الامبراطورية العربية (٧٥٠ م) . كان يربى فى هذه الأيام عنده ثمانية آلاف من التتار مثل الجانثاريين

عند السلاطين العثمانيين . فتوجس وزير من الوزراء خيفة من تمرد آنلوشان ونبه الامبراطور إلى ذلك وكان من الغافلين .

ففى سنة ٧٥٤ م ، التمس آنلوشان من الامبراطور (يونغ جونغ) ترخيصا بالحضور الى العاصمة وتقديم ثلاثة آلاف من الخيول اليه . فراد طلبه هـــذا فى قلب الامبراطور خوفا بالغالم يكن يعهده من قبل . لأنه عرف من بعض العيون أن آنلوشان لم يطلب الترخيص بالحضور إلى العاصمة ، إلا لأجل القبض على أمرها فدبر ورأى أن أظهار تقديم الخيول الى الامبراطور ، يكون آمن طريق للتقرب من صاحب العرش ، وأسهل وسيلة الى اغتياله وما كانت هذه الهدايا إلا خيلا على كل جواد مقاتلان وحوله اثنان وعشرون حارسا فى الظاهر وما هم فى الواقع إلا قواد الجيوش . فلما عرف الامبراطور ما بطن فى قلب آنلوشان وحقيقة الاغراض التى أراد أن يرمى اليها بهذه الهدايا ، أصدر أمرا فى الحال بمنعه من الحضور الى العاصمـــة ولكن كيف يمنع رجل قد عزم على الخروج والعصيان . فأعلن عصيانه علانية فى أواخر هذه السنة وعلى أثره هاجم العاصمة الشرقية وهى (لويانغ Lo-Yang) الآن فى ولاية هانان (Honan) ثم بعث فوجا من الجيوش لمهاجمة (تونغ جونغ Tung -Kung) ، نقطة عسكرية ذات أهمية عظيمة فى الطريق الى العاصمة الغربية وهى (شانغ آن Chang An) فى ولاية (شانسي) ففتحها ودخل شانغ - آن وقتل عشرات من أفراد الأسرة المالكة . ثم نادى بنفسه أمبراطورا على الصين . هذا ما يتعلق بآنلوشان الثائر .

وأما الامبراطور يونغ جونغ فقد فرتحت ضغط الثوار الى (بوآن Pao-An) بولاية سيجوان (Sze-Chwan). ولم يعرف الأمراء والوزراء عنه شيئا، وأما ولى العهد فكان فى مدينة بنليان (Pin-Liang) وقت الثورة . فطار اليه الوزراء وتشاوروا فيما بينهم على ما يجب أن يعملوه . واتفقوا على نصب ولى العهد أمبراطورا عليهم فتلقب بسوجونغ - (Su-Tsung) وكان ذلك من تاريخ سنة ٧٥٥ م .

كان أول عمل يعمله، ويجب أن يعمله ، بعد المناداة به أمبراطورا على الصين، هو اتخاذ التدابير اللازمة لقمع الثوار ورد الأمن الى البلاد . فلما رأى أن قواته العسكرية لم تكن كافية لمقاومة كتائب الثوار الهائلة قرر الاستنجاد بالدول الصديقة المجاورة حدود الصين فكلف (ليمى) وزيرا من الوزراء ، أن يسافر الى بلاد الأراغرة بتركستان . مستغيثا أمراءها على أن يكافئهم مكافأة عظيمة فى نهاية الثورة ، وطلب اليهم أن يزحفوا عن طريق (سى - آن Si · An) ففى أواخر سنة ٧٥٥ م ، وصلت قوات الأواغرة وهم خمسة آلاف محارب تحت إمرة القائدين (خولوكى) و (وانشين) كما ورد فى تاريخ الصين العام [1] . فدارت الحروب سجالا بين قوات الأواغرة وبين جيوش آنلوشان الثائر سنتين . ولم تظهر النتيجة . فطالب قائد الأواغرة التعزيزات من أميرهم . فجاء فى الدفعة الثانية ، أربعة آلاف فارس فى سنة ٧٥٧ م ، بقيادة ابن الأمير واسمه (يعفور) الى مدينة (فونغ هيانغ Fong·Hiang) حيث اجتمع مع حاكم (كوانغ ينغ) بن حامية الامبراطور . فقبضا على آنلوشان ، زعيم الثورة وقتلاه . ثم زحفا بجيوشهما إلى العاصمة الغربية وهى (شانغ آن) الآن وقد ساهم فى الأعمال الحربية قائد صينى كبير معروف باسم (كوتسى Kuo Tze·i) ثم اتفقوا على الزحف الى العاصمة الشرقية وهى لويانغ فى ذلك الوقت ففتحوها ، وجاء فى تاريخ الصين العام أن القائد (كوتسى) قد حارب الثوار ففشل فى كسر قواتهم حتى قدم جيوش الأواغرة من خلفهم . وقيل أنهم عندما علموا بقدوم الأواغرة ، وقد ملئت قلوبهم منهم رعبا ، صاحوا — يا ويلنا من الأواغرة ! فولوا عندئذ مدبرين . فدخل جيوش المسلمين العاصمة الشرقية مع القائد الصينى ، فاتحين منتصرين وبهذه الطريقة ردوا سلطة الحكم إلى الامبراطور (سوجونغ) فانتهت ثورة آنلوشان ، بعد استئصال أذنابه وتطهير البلاد منهم ، فاستطاعت الصين أن تتمتع بالأمن والنظام مرة أخرى ، واستطاعت أسرة تانغ أن تستمر فى الحكم حتى منتصف القرن العاشر من الميلاد .

---

(1) Thong Chiang : Vol. 55.

وروى عن بعض المؤرخين ومنهم موسيودابرى ، مؤلف كتاب « المحمدية فى الصين » ، أن أمبراطور الصين قد طلب الاعانة العسكرية من الخليفة أبى جعفر المنصور فى قمع ثورة (آنلوشان) . ولقد بحثت عن هذا الخبر فى الكتب العربية القديمة من الطبرى الى ابن خلدون فلم أجد فيها أية إشارة اليها وما ذكر فى « صفوة الاعتبار بمستودع الامصار » للشيخ بيرم التونسى المتوفى سنة ١٨٨٩ م ، وهو أن « أصل المسلمين فى الصين وهم ينيفون على الستين مليونا من السكان ومن العساكر المسلمين الذين جلبهم ملك الصين فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، حيث ثارت عليه رعاياه ، فاستنجد بالخليفة على أن يؤدى معلوما اذا أنجده فأرسل اليه أربعة آلاف من صناديد المسلمين وقهر بهم رعاياه ، وجازاهم على ذلك بجواز الاقامة فى مملكته الخ » من أقوال القرن التاسع من الميلاد ، وطبيعى أنه قد أخذ هذا الكلام عن غيره : لكننا نأسف لانه لم يذكر مأخذه مع أن كلامه فى هذه المسألة التاريخية أوزن من كلام غيره إذ يحسم به النزاع وينتهى به البحث . فلا نحتاج الى السؤال عن الشهادات الاخرى . غير أن عدم ذكره للمأخذ يبقينا فى شك لا يزيله عن قلوبنا إلا أوثق مصدر وأوضح دليل مما قال الشيخ بيرم فى كتابه ، أما ما قال الاستاذ غستاف لبون فى كتابه « حضارة العرب » وهو منقول عن موسيودابرى ، فلا نعتبره أصح من قول الشيخ بيرم التونسى ، إلا أن هناك بيانا آخر لمستشرق معروف باسم (بريتخ نائدر Breitschneider) فى كتابه (علم الصينيين القدماء عن العرب Ancient Chinese Knowledge on the Arabs) وهو يستند الى « تانغ شو » أو كتاب تاريخ تانغ (ص ١٥ من الباب العاشر) أن أمبراطور الصين قد استرد عاصمتيه الشرقية والغربية (شانغ آن ولو يانغ) وقمع ثورة آنلوشان ، بمساعدة الجيوش التى بعثها الخليفة أبو جعفر المنصور فى سنة ٧٥٧ م (١) . فراجعت المصدر الاصلى فوجدت أن اسم الخليفة لم يذكر ثم الجيوش

(1) Breitschneider : P. 9.

التى اشتركت فى قمع الثورة ، كانت مكونة من الأراغرة والعرب والتتار وهم ٢٠ الفا [1] .

لقد ثبت على الأقل من تاريخ الصين أن العرب قد ساعدوا أمبراطور الصين فى أيام هذه الثورة ولا ينبغى أن نقبل هذا القول على أنه القول الفصل ، إلا بعد التحقيق من جهة تاريخ العرب والنظر الى إمكان هذه المساعدة من قبل أبى جعفر المنصور .

ومن المعلوم أن أبا جعفر المنصور قد أخذ زمام الخلافة بعد أخيه السفاح فى سنة ١٣٦ هـ ٧٥٤ م - وكان أول عهد خلافته مليئا بالحوادث والاضطرابات مثل خروج عمه عبد الله بن على فى صفر ١٣٧ هـ أو فى نوفمبر سنة ٧٥٤ م . فرأى أنه لا يستطيع أن يكون جالسا مطمئنا على كرسى الخلافة ، ما دام أبو مسلم الخراسانى واقفا أمام طموحه . فاحتال عليه وذبحه فى ٧٥٥ م . فأدى هذا القتل الى ثورة هائلة فى خراسان استمرت ثلاث سنوات وانتهت فى سنة ١٤١ هـ ٧٥٨ م بعد مكافحة جبارة من قبل أبى جعفر المنصور . ومن المعلوم أيضا أن الثورة التى ظهرت فى الصين كانت فى السنة التى تولى فيها أبو جعفر الخلافة فاستمرت الى ثلاث سنوات أيضا ولم تقمع إلا فى سنة ٧٦٠ م . ومن المتيقن اذن أن البعثة العسكرية التى جاءت الى الصين فى سنة ٧٥٥ م ، لم تكن من قبل أبى جعفر المنصور ، لأن الوقت لم يتسع لذلك . ثم أن الحوادث التى كانت تسود أرجاء الخلافة فى أول عهده ، لا تسمح له أن يفرق قواته العسكرية الى وحدات متفرقة ، وحدة لتعضيد أركان الخلافة ، وأخرى لمقاومة أتباع أبى مسلم الخراسانى ، وثالثة لاعانة أمبراطور الصين . وأما التى جاءت فى سنة ٧٥٧ م ، فمن المحتمل أن يوجد فيها عدد كبير من العرب ، كما أشار الى ذلك ، (تانغ شو) القديم ، مؤكدا بمصدر آخر صينى [2] وإن سكت المصدر العربى فى هذا الصدد سكوتا تاما . بيد أننا نميل الى الاعتقاد بأن هؤلاء

---

(1) The Old Tang Shu: Vol. 10. P. 15.

(٢) أنظر باب العلاقة الدبلوماسية

العرب لم يكونوا مبعوثين من بغداد ، بل من أواسط آسيا . لأن قتيبة بن مسلم والذين جاءوا بعده من أولى الأمر قد أمروا جيوشهم أن يحملوا عيالهم ليضعوها فى المدن التى استوطنوها . ومما لاشك فيه أن للعرب جيوشا فى هذه المدن ، فكان سهلا على المنصور أن يأمر والى بخارى مثلا أو والى سمرقند، ان يساعد امبراطور الصين بما تحت قيادته من الجيوش ، إن جاء يستنجده ، لأن ذلك أسرع طريق الى النجدة وأقرب مسافة الى حدود الصين . وكان قائد هذه البعثة يعبور ، كما ذكرت من قبل . وهو أو يغورى لا عربى . ومن المحتمل أيضا أن العرب الذين فى البعثة كانوا تحت إمرة هذا القائد . ويجب علينا أن نتمسك بهذا الرأى فى هذه المسألة التاريخية ، حتى يظهر لنا دليل جديد من المصادر التى لا نزال عنها غافلين .

لقد قلت أن ثورة آنلوشان قد قمعت فى سنة ٧٥٧ م نهائيا ، وكان ذلك بفضل أولئك الأواغرة والعرب الذين جاءوا الى مساعدة الامبراطور (سو جونغ) . وبعد ذلك خيرهم بالعودة أو الاقامة . فقد عاد من عاد بعد مالقى من الحفاوة والاكرام من أمراء الصين الذين عاونوهم فى تثبيت أركان الدولة ورد الحكم الى ذويه . وأقام من فضل الاقامة فيها . ويروى الشيخ بيرم التونسى الذى قد تقدم ذكره ، أنهم أقاموا على شروط وهى استقلالهم فى إدارتهم الخصوصية وعباداتهم وشعائرهم فأجاز لهم مطالبهم . لكن فرقهم على المدن العظيمة فى مملكته . وصار فى كل مدينة ، مدينة مستقلة بالمسلمين على حسب كثرتهم وقلتهم مستقلين فى أحكامهم الخصوصية متمسكين بالدين [1] وأجاز لهم أيضا التزوج ببنات السكان ومصاهرة الأعيان فكثروا فى مدة وجيزة وانتشروا . ومن ذلك الحين ازداد الود بين أسرة تانغ ورؤساء الاواغرة من جهة ، وكثرت السفارات بين الصين والعرب من جهة أخرى . وستجد تفاصيل السفارات فى باب مستقل .

وأما العلاقة الودية التى بين أسرة تانغ ورؤساء الأواغرة ، فقد ازدادت توثقا بعلاقة دموية ومصاهرة . ونعرف هذا من تاريخ الصين العام الذى ذكر فيه

---

(١) صفوة الاعتبار بمستودع الامصار ج ١ - ص ٢٣

أن ثلاثة من رؤساء الأواغرة قد تزوجوا فى سنوات بين ٧٥٠ و ٧٨٥ م ، بأميرات تانغ . لأسباب سياسية . وكان أول من تزوج من رؤساء الاواغرة ، أميرة يقال لها (نينكو) ، هو باسل خان المعروف فى تاريخ الصين باسم (اينفو) وكان (وانيو) ، أمير (هانجون) مكلفا بمرافقة الاميرة الى تركستان . وقد صاحبها أمبراطور الصين من عاصمته الى مدينة (هانغ يانغ) ، حيث ودعها بدموع حارة وأنين حزين[1] (هذا من وقائع سنة ٧٥٨ م) .

وبعد أربع سنوات استنجد أمبراطور الصين مرة أخرى بالأواغرة على أحد أنصار آنلوشان وقد خرج وهاجم العاصمة الشرقية ومدينة (هانغ يانغ) . فلى قطن خان استغاثته وجاء بجيوشه فرد ما سقط فى أيدى الثوار من المدن الى ملك الأمبراطور (دائى جونغ Dai- Tsung) ابن (سوجونغ) . فالجائزة التى نالها قطن خان لهـذه الخدمة الجليلة ، هى يد أميرة من صلب أمـير (واى غين Wei · Ghen · Wang) ، الذى قد استعان مرة بقوات المسلمين على إشعال ثورة على الأمبراطور . ففشل ، وبعـد وفاته أدخل ابنته فى قصره ، فرباها الى الرشد . ثم زوجها بقطن خان [2] .

ألا أننا نرى واقعا محزنا قد وقع فى هذه الايام ، وهو قتل تسعمائة أو يغورى فى مدينة (جنغ وو) فى سنة ٧٨٠ م . وكان ذلك بسبب غضب حاكم المدينة على رئيس قافلة الأواغرة ، وقد نشأ ذلك من سوء التفاهم . وكان الواقع ، كما أخبرنا تاريخ الصين ، أن بعض العشائر من التتار كانوا يترددون على عاصمة الصين للتجارة وكانوا يختلطون مع أهلها ويظهرون أنهم من الأواغرة . ثم أنهم لم ينصفوا فى معاملاتهم مع السكان فلامهم أهل العاصمة وكان فيها بعض تجار الأواغرة أيضا . غير أن السكان لم يستطيعوا التفريق بين هؤلاء وأولئك ، فأمر أمبراطور الصين رئيس الأواغرة وهو (جون تون) أن يعود مـع أصحابه إلى

(1) Thong Chinag: Vol 56. P. 9.
(2) Thong Chinag: Vol. 57. P. 1.

تركستان ، فسافروا مطيعين أمر جلالة الامبراطور حتى وصـــلوا إلى مدينة (جنغ وو) ، حيث مكثوا بضعة شهور . وكان بها رئيس التجار التتار الذين قد تقدم ذكرهم فوقعت مشاجرات بين الفريقين لأجل الأمور التجارية . فحمل رئيس التتار حاكم المدينة على قتل (جونتون) وجميع التجار الذين كانوا معه فهلك فى هذا الحادث أكثر من تسعمائة أو يغورى .

وقد أسف الامبراطور أسفا شديدا على هذا الحادث ، فأخذه الخوف من حملة الأواغرة بسببه فاستشار الوزير (ليمى) فيما يجب أن يفعل . فقال : ليس من مصلحة الدولة أن تبقى منقطعة عن الأواغرة بعد استخدامهم فى دعم أركانها . فأن الصلح مع الأواغرة شمالا ، والاتصال ببلاد يونان جنوبا ، وإيجاد الرابطة مع الهند والعرب غربا ، من الأمور التى يجب ألا تؤجل على أى حال من الأحوال . فقال الامبراطور . لماذا ؟ قال : أن الصلح مع الأواغرة ، قوة تمنع هجوم التتار على الحدود ، والاتصال ببلاد يونتان ، أول خطوة فى ضمها إلى الامبراطورية ، وأما العرب فأقوى الشعوب فى هذه الأيام ، وأما الهند فقد أظهرت ودها نحو الصين من قديم الزمان .

فاقتنع الامبراطور بما قال الوزير . فبعث رسولا إلى بلاد الأواغرة ليجدد علاقة الصداقة بين الطرفين . فعقد معاهدة الود معهم ، وقواها بتزويج أميرة (هانغ آن) من أميرات (تانغ) بقطلو خان رئيس الأواغرة [1] .

لقد صدقت الحوادث الأخيرة ، ما قال الوزير (ليمى) ، لأن قبيلة من التتار قد هاجمت حدود الشمال ، فأرسل رئيس الأواغرة قائدا من قواده إلى مساعدة الامبراطور . وطرد المغيرين إلى حيث أتوا .

والحقيقة أن الأواغرة المقيمين بتركستان كانوا أصدقاء للصين وأنصارها فى مصائبها ومحنها فلذلك نرى فى تاريخ الصين التنوية بخدماتهم فى مواضع كثيرة . وكانت علاقة المصاهرة بين رؤسائهم وأمراء أسرة تانغ أكبر عون على تعزيز

---

(1) Thong Chinag : Vol. 58. P. 22.

علاقة حسن الجوار حتى اعتمد كل طرف على الآخر ، فى النجدة والمساعدة فى أيام الحرب ، والتعاون والتعاضد فى أيام السلم .

هذا وأما علاقة العرب بالصين من الناحية السياسية ، فلا نعرف عنها كثيرا بعد واقعة (تالاس)، لأن تاريخ العرب وكذلك الصين صمت بعد ذلك اليوم المشهور. إلا أننا نجد فى « تاريخ ممالك جين » مؤلفة الأستاذ كاركورن ، ما يأتى : « مما هو جدير بالذكرى فى آخر عهد (سوجومغ) ، الذى حكم الصين سبع سنوات (٧٥٦ — ٧٦٢ م) ، أن السفير قد ورد من خليفة بغداد ، يحمل التحف والهدايا. فودعه التعظيم الوافر والاكرام الفائق[1]. ثم تكلم عن علاقة أسرة سونغ (Sung) بخلفاء بغداد وقال : كان (جوكوانغ أين) وزيرا لآخر عاهل من أسرة تانغ . فلما رأى ضعفه فى تنظيم أمور الدولة ، غصب منه زمام الحكم ، فأسس دولة لأسرته المعروفة فى تاريخ الصين بأسرة سونغ . وكان شجاعا ، مدبرا كبيرا ، وسياسيا عظيما . نعم ، أنه لم يكن عالما أو فاضلا ، غير أنه يعرف الناس خيرهم وشرهم. وإنك لتعظم شخصيته وتقدر عظمته، حين ترى العلماء يبكون بكاء الأطفال إذ نعى اليهم فتراهم آسفين أشد الأسف على فراقه يعزى بعضهم بعضا أياما .

« وكان ملك الختن وأمراء تركستان أوفدوا سفراءهم اليه وقد بعث اليه هدية نفيسة مطيع الله أبو القاسم من خلفاء بغداد ، فى سنة ٣٦٢ هـ ، مرفقة برسالة المودة والاخلاص[2] » .

لكن كل هذا ليس من صميم العلاقة التى نحن بصددها هنا لأن العلاقة السياسية هى ما نرى فيها من حركات عسكرية ، ووقائع حربية ، ومظاهر الغزوات وآثار الخوف على الوجوه وعلامات الرجاء فى الأخذ والرد . وأما حضور السفراء بالهدايا والرسالات الودية : فله باب مستقل تحت عنوان « العلاقة الدبلوماسية » ، وستمر بك فيما بعد .

---

(١) كاركورن . ص ١٧٥

(٢) أيضا : ص ١٨٣